إخوان الصفاء وفلسفتهم السياسية

زمزم أفندى

Abstract

Ikhwan as-Safa, a group of phylosopher which rised in 4th century of Higra or 10th century AD, in Basra, Irak, has attracted many scholars to study their thought, especially their scientific ideas which were compiled on their master piece *Rasa'il Ikhwan as-Safa wa Khulan al-wafa.*

This paper tries to raise their notion on political phylosophy in regard to the assumpsion that Ikhwan as-Safa was not merely a group of phylosophers whose concerns were purely scientific matters, but also a group of phylosophers with political concerns. They dremt of an idealistic country which they called *al-Madina al-Fadilah* as a substitute of an evil country, a country filled with evils, corruptions an deviations which they called *al-Madina al-Ja'ira.*

In order to know further their idealistic country, one should understand their concepts of human being, country, leadership and how to choose the leader. These points are discussed here.

According to Ikhwan, human being are a social creature. They can not live alone and autonomous in doing such aspects as trade, industry, science and so forth. For them social life For them is a kind of obligatory, for two reasons. The first is because human being can not autonomously discover their potentials, wether in scientific aspects or in other aspects of life. The second is the defferent ability of every single person as well as their natural potentials. This condition leads them to a position in which they can not master all sciences and skills.

Umma or society, according to Ikhwan, is a nation with similarities in language, characteristics, traditions, culture, geography, as well as colour of skin and physical posture. The idealistic country for them is a country whose society consist of good people *'qaumun akhyarun'*, phylosophers or wise people, and it has rules of social relation among themselves or between them and people of evil country. These criteria must be based on obedience to Allah. Dealing with *imama* or leadership, Ikhwan

sees it as an obligatory. *Imama* should exist, not only for mundane aspects resolving conflicts, but also for religious goals. For them a leader (*imam*) must have thare criteria mentioned earlier.

Abstrak

Ikhwan As-Shafa, sebuah perkumpulan para filusuf yang muncul pada abad ke-4 Hijriah/ke-10 Masehi di Basrah, Irak, telah menarik minat para ilmuan untuk mengkaji pemikiran-pemikiran mereka, terutama gagasan-gagasan berbagai cabang keilmuan mereka yang terhimpun dalam karya monumentalnya yang terkenal dengan *"Rasail Ikhwan al-Shafa Wa Khulan al-Wafa"*.

Tulisan ini mencoba mengungkap gagasan filsafat politik kelompok Ikhwan dengan asumsi bahwa kelompok tersebut bukan semata-mata perkumpulan para filusuf yang konsern terhadap kajian-kajian keilmuan ansih, tetapi juga memiliki tujuan politis, mencit-citakan adanya sebuah negara ideal yang mereka sebut dengan "AlMadinah al-Fadilah" sebagai pengganti negara yang penuh kejahatan, penyelewengan dan penyimpangan yang mereka sebut dengan "Al-Madinah al-Jairah".

Untuk memperoleh kejelasan tentang negara ideal ikhwan ini, perlu diketahui konsep-konsep mereka mengenai manusia, negara, kepemimpinan (imamah) dan pengangkatan seorang imam. Point-point inilah yang dicoba paparkan dalam tulisan ini.

Menurut Ikhwan, manusia merupakan makhluk sosial, mereka tidak dapat hidup sendiri dan mandiri dalam menyelesaikan banyak hal, seperti dalam urusan perdagangan, industri, pembangunan negara, merumuskan ilmu pengetahuan dan lain sebagainya. Hidup bersosial bagi Ikhwan adalah suatu keniscayaan. Hal ini menurut mereka karena dua sebab: Pertama; ketidak mandirian manusia untuk dapat menggali potensi dirinya, baik dalam bidang pengetahuan maupun hal-hal lain. Kedua; adanya perbedaan tingkat kemampuan akal seseorang serta potensi-potensi alami yang mereka miliki, menyebabkan mereka tidak dapat menguasai semua pengetahuan dan kecakapan yang mereka kehendaki, tetapi mereka harus meminta bantuan orang lain yang memilikinya.

Umat, menurut konsepsi Ikhwan ialah sebuah bangsa yang memiliki ciri-ciri kesamaan dalam kesatuan bahasa, karakter, adatistiadat, tradisi dan geografi, juga memiliki kesamaan warna (kulit) dan postur tubuh.

Adapun negara (ideal) bagi Ikwan ialah sebuah negara yang masyarakatnya terdiri dari orang-orang baik (*qaumun akhyarun*), para filusuf (*Hukama'*), memiliki tata pergaulan khusus baik dengan sesama masyarakat mereka sendiri maupun dengan anggota masyarakat negara yang jahat (*ahl al-Madinah al-Jairah*), serta berasaskan takwa kepada Allah. Sementara itu, mengenai imamah (kepemimpinan), bagi Ikhwan adalah suatu hal yang niscaya adanya, disamping demi kepentingan duniawi (menyelesaikan konflik), juga demi kepentingan agama. Sedangkan orang yang dapat menjadi seorang imam (pemimpin) ialah yang memiliki kriteria sebagai berikut; Orang yang terbaik setelah Nabi, terdekat nasabnya kepada nabi, dan telah ditetapkan oleh nash (menerima wasiat) sebagai imam.

مقدمة

I- نشأة جماعة إخوان الصفاء وغايتها الظاهرة والباطنة

إجتمع فى الشرق العربى الاسلامى فى وقت ما من تاريخ الدولة العباسية لفيف من المؤلفين الجادين وأخذوا يلتقون فى مواعيد محددة فى أمكنة خاصة باجتماعتهم واطلقوا على أنفسهم إسم "إخوان الصفاء وخلان الوفا" أهل العدل وأبناء الحمد[1] ونشأت هذه الجماعة السرية حوالى متصف القرن الرابع الهجرى بعد أن عصفت بالخلافة الإسلامية أيدى الحدثان وتقسمها أمراء وملوك، ولم يبق العباسيين إلا بعض نفوذ فى ما يطيفُ ببغداد أو فى توزيع الألقاب على أصحاب السلطة الفعلية[2] أوكما قال عز الدين فودة، كانت هذه الجماعة ظهرت وترعرعت خلال إحدى المراحل التاريخية الخامسة من تاريخ الاسلام عندما كان المجتمع الاسلامى يواجه نوعا من الصراع الذى يهدد حياته السياسية والاقتصادية والاخلاقية وتتناحر فى داخله الطبقات الاجتماعية وتتفاوت أطره الثقافية والتربوية. فأخذ الإخوان

يربطون بين هذه الأحوال التى يتغلب فيها أهل الشر على البلاد وبين إستتار أئمة أهل الهدى وأصحاب دعوة الحق.[٣]

وليس من شك فى أن هذه الأسباب والدواعى كانت تبطن ما كان عليه العرب والمسلمون من استعداد للفرقة والاختلاف والتناحر الى فرق دينية وأحزاب سياسية متباينة لكل منها مقالاتها فى الدين والكلام والفلسفة والسياسية. ولهذا كان من غايتهم الظاهرة لأقامة الجماعة هى إنقاذ المجتمع الانسانى على اساس تآلف القلوب والعقول والاعمال انطلاقا من وحدة الصورة الانسانية واتساق تعاليم الديانات والفلسفات كافة مع الواقع الكونى الخارجى والداخلى النفسانى لينجو البشر على سفينة مثل سفينة نوح.[٤]

وفى قول آخر أن الاخوان جهدوا أنفسهم عهد الخلاف والشقاق وتعدد الفرق والاحزاب فى اعادة الوحدة الى الاسلام والجمع بين المسلم والنصرانى والمجوس واليهود والافلاطون والمشائى والفيتاغورى وتوجيه الجمع الى غاية واحدة هى الحقيقة المطلقة.[٥]

إحنافة الى تلك الغاية الظاهرة، ولا شك أن لهذه الجماعة غاية باطنية رئيسية تهدفها وهى الغاية السياسية وتبدو هذه الغاية الآخرة من خلال أقوالهم فى غير موضع واحد فى رسائلهم وإليك هذه الأمثلة:

"وقد ترون أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منه أنه قد تناهت قوّة أهل الشر وكثرت أفعالهم فى العالم فى هذا الزمان وليس بعد التناهى فى الزيادة إلا الانحطاط والنقصان. واعلم أن الملك والدولة ينتقلان فى كل دهر وزمان ودور وقران من أمة الى أمة، ومن أهل بيت الى أهل بيت، ومن بلد الى بلد . واعلموا أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار

فضلاء يجتمعون فى بلد ويتفقون على رأى واحد ومذهب واحد ويقدرون بينهم عهدا وميشاقا بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضا. ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم وكنفر واحدة فى جميع تدابيرهم وفيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الاخرة. لا يعتقدون سوى رحمة الله ورحمته عوضا. فابشروا أيها الاخوان بما أخبرناكم واتقوا بالله ونصرته لكم إذا بذلتم مجهودكم كما وعد الله تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" "ولينصرن الله من ينصره" "الا إن حزب الله هم الغالبون".[٦]

ومن المقتطفة المذكورة نفهم أن الدولة أهل الشر قت تناهت قوتها، وتبدلها دولة أهل الخير والفضل والاتفاق من بعدها. وليس المراد بهؤلاء اهل الخير الا الاخوان انفسهم كما يزعمون انهم هم "الكرماء والفضلاء والاصفياء" وقد آن لهم الآوان لأن يكونوا أئمة دولة أهل الخير.

II. الاجتماع السياس

١- الاجتماع الانسانى:

قال ابن خلدون فى مقدمته، إن الاجتماع الانسانى ضرورى ويعبر الحكماء من هذا بقولهم إن الانسان مدنى بالطبع أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية.[٧] فجماعة اخوان الصفا يجارون بما ذهب اليه ابن خلدون حيث أنهم عقدوا فصلا خاصا للبحث "فى حاجة الانسان الى التعاون". جاء فيه أن الانسان لا يستطيعون أن يعيش بمفرده لأنه محتاج فى حياته الى العديد من الصنائع التى لا يمكن لإنسان واحد أن يتقنها خصوصا وأن حياته قصيرة. فمن أجل هذا، اجتمع فى كل مدينة أو قرية أناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا.

وانقسم الناس الى جماعات تعمل كل منها فى صناعة أو تجارة أو إحكام البنيان، تدبير السياسة، إحكام العلوم وتعليمها وخدمة الجميع والسعى فى حوائجهم، لأن مثلهم فى ذلك كمثل إخوة من أب واحد فى منزل واحد متعاونين فى امر معيشتهم.[٨]

فالاخوان يرون أن الاجتماع يظل قائما طالما ظلت الحاجة التى تدعو الى الاجتماع باقية، وإن بطلت العلة التى تدعو الى ذلك، انقض الاجتماع.[٩] ومع ذلك هم يرون أن الاجتماع بين البشر هو اجتماع طبيعى وضرورى ومستمر. وذلك لسببين[١٠]:

١- عدم تهيئ أى انسان بمفرده أن يستنبط بقوته الجزئية وحده بجميع العلوم والاحتمال لسائر الصنائع.[١١]

٢- ان تفاوت الناس فى درجات عقولهم واستعدادا تهم الطبيعية واختلاف خواص أنفسهم التى يتوقف عليها إظهار فعل من الافعال على حسب أمزجة الجسد، جعلت العلوم والصنائع موزعة على جميع البشر على حسب استعدادات كل منهم.[١٢]

وقال فريد حجاب إن الاخوان وكثيرا من الفلاسفة المسلمين استلهموا أفكار أفلاطون وأرسطو حول طبيعة الاجتماع البشرى إلا أنهم تأثروا أيضا بتعاليم الدين الاسلامى التى جعلت المفكرين والفلاسفة المسلمين ينظرون الى الكون نظرة ثنائية. هذه الثنائية التى كانت إحدى السمات الرئيسية للفكر الاسلامى، وما ترتب على ذلك من اعتبار الحياة الدنيا وسيلة والحياة الاخرة غاية. وأثر هذا على طبيعة الارتباط بين الدين والدولة فى الفكر السياسى الاسلامى

مما كان له أثر على تأكيد النظرة الى طبيعة الاجتماع البشرى وتقرير الغاية منه.[١٣]

ويتبين صدى هذه الفكرة فى قول الاخوان بأن "كل واحد منا هو مركب من جوهرين متباينين متضادين: أحدهما هو هذا الجسد ..... وأما الجوهر الاخر فهو هذا الروح اللطيف. وما دامت هذه النفس مع هذا الجسد مربوطة به الى الوقت المعلوم، فلا بد لنا من النظر فيما تصلح به معيشة الحياة الدنيا وما تنال به النجاة والفوز فى الاخرة. واعلم أن هذين الامرين لا يجتمعان ولا يتمان إلا بالمعاونة، و المعاونة لا تكون إلا بين الاثنين أو أكثر من ذلك.[١٤]

ب- مفهوم الأمة عند الاخوان:

بغض النظر عما اذا كانت كلمة "أمة" عربية الاشتقاق،[١٥] أو كلمة دخيلة مأخوذة من العبرية أو الآرامية،[١٦] إلا أنها اصبحت فى ظل الاسلام لفظا اسلاميا أصيلا، حيث ورد فى العديد من ايات القرآن الكريم.[١٧]

فهناك عدة مقاهيم للأمة فى الفكر الاسلامى من بينها ما يراد بالامة هى الجماعة تجمعها حياة مشتركة مثل القبيلة أو العشرة. وقد تفيد معنى أوسع من ذلك مثل شعب أو قوم سواء فى اطار دولة أو فى اطار أوسع يضم جماعة المسلمين.[١٨]

فالاخوان يرون أن لكل أمة من الأمم سمات وصفات خاصة بها دون غيرها. ومما قاله الاخوان فى هذا الشأن: "إنك تجد اذا تأملت لكل أمة من الناس ألحانا ونغمات يستلذونها ويفرحون بها، لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم، مثل غناء الديلم والأتراك والأعرب والأرمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والأخلاق

والعادات .... وهكذا نجد حكمهم فى مأكولاتهم ومشروباتهم وفى مشمومات وسائر الملاذ والزينة والمحاسن، كل ذلك بحسب تغيرات. أمزجة الاخلاط واختلاف الطبائع وتركيب الابدان والأماكن والازمان.[١٩]

ويمكن من هذا النص استخلاص العناصر التى تميز بين أمة وأخرى فى رأى الاخوان، ولعل أهم هذه العناصر :

١.وحدة اللغة

٢.وحدة الطباع

٣.تشابه الاخلاق

٤.الاشتراك فى العادات والتقاليد

٥.وحدة الأماكن

٦.تشابه الألوان

٧.تشابه تركيب الابدان

وخلاصة القول أن الأمة فى رأى الاخوان هى تلك التى تختص بصفات وطبائع وأخلاق وسجايا وموقع جغرافى ووحدة تاريخية ووحدة عادات وتقاليد بحيث تميزها عن الأمم الأخرى. ومن ثم، فالأمة تمثل وحدة اجتماعية اكبر من المدينة كما سيأتى بيانها.

ويبدو أن الاخوان لا يعدون دينا كعنصر من عناصر تحديد مفهوم الأمة. وهذا يرجع الى نظرتهم الخاصة للدين. فهم يرون أن الدين واحد وإن اختلفت شرائع الأنبياء بحسب أهل كل زمان ومكان وما يليق لهم أمة من أمة. فالاخوان بتلك النظرة الخاصة إذا، يميزون بين شرائع الأنبياء، نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام وإن كانوا جميعا يدينون بدين واحد، لا يختلفون فيما يعتقدون من الدين سرا وعلانية. وعلى

هذا الاساس يعتبرون كلا من اليهود والنصارى والمسلمين أمما مختلفة بحسب اختلاف شرائعهم.[٢٠]

وفى مواضع أخرى من الرسائل يرون أن كل شريعة من هذه الشرائع تتفق فى غرضها ومقصودها مع العلوم الحكمية والفلسفية أى أن الاختلاف بين هذه الشرائع هو اختلاف ظاهرى. أما أصولها جميعا تتفق وتتجه نحو وجهة واحدة ومقصود واحد، هو تهذيب النفس الانسانية وإصلاحها وتخليصها من جهنم عالم الكون والفساد وإيصالها إلى الجنة ونعيم أهلها .... فهذا هو المقصود من العلوم الحكمية والشريعةالنبوية والفلسفية ولايعدو إلا ختلاف بين اثرا ئع ا لنبويه والفلسفيه إلا كاختلاف طرقات القاصدين نحو بيت الله الحرام وتوجههم شطره بحسب مواضع بلدانهم ومراحلهم ومرافقهم من البيت شرقا وغربا وجنوبا وشمالا.[٢١]

III. مفهوم السياسة عند إخوان الصفاء

يبدو أن الاخوان لا يختلفون كثيرا بل يتفقون مع الفلاسفة المسلمين فى نظريتهم الفلسفية. لقد كان قصد الاقدمين من فلاسفة العرب من كلمة "سياسية" هو تلا فى الخلل واصلاح ما فسد.[٢٢] ومن ثم، فليس بين سلوك الانسان فى نفسه (الأخلاق) وبين سلوكه مع غيره (السياسة) خلاف. فالانسان الفرد والانسان السياسى يسيران جنبا إلى جنب ولا يمكن فصل احدهما عن الآخر. ولذا أصبح الفكر السياسى الاسلامى فكرا أخلاقيا.

ويعتبر إخوان الصفا ممن بدأوا هذا النهج فى عدم الفصل بين السياسة والاخلاق، حيث يرون أن الاخلاق ما هى إلا سياسية النفس. ومن استطاع أن يسوس نفسه استطاع أن يسوس غيره.[٢٣] بل حتى جعل

الاخوان الاخلاق أو سياسية النفس هى الاساس لكل السياسة، وذلك كما قالوه فى الفصل الذى خصصوه فى البحث "فصل فى غرض السياسة"، حيث يقولون:

"إعلم أن الجسد مسوس والنفس سائس، فأى نفس ارتاضت فى سياسة جسدها كما يجب امكنها سياسة الأهل والخدام والعلمان. ومن ساس أهله بسيرة عادلة أمكنه أن يسوس قبيلة، ومن ساس قبيلة كما يجب أمكنه أن يسوس الناموس الالهى، ومن ساس الناموس الالهى، أمكنه الصعود الى عالم الأفلاك وسعة السموات عالم الدوام ليجازى هناك بما عمل من خير".[٢٤]

وأما الغاية من السياسة لأخوان الصفا هى اصلاح الموجودات وبقائها على افضل الحالات وأتم الغايات.[٢٥] و السياسة بهذا المعنى عندهم لا تحصل ولا تتم إلا بعد وجدان الرياسة.[٢٦]

ويقسم اخوان الصفا السياسة الى خمسة أنواع[٢٧]: السياسة النبوية، السياسة الملوكية، السياسة العامية، السياسة الخاصية ثم السياسة الذاتية.

١. السياسة النبوية : فهى معرفة كيفية وضع النوامس المرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الردية والأفعال الجائرة ومعرفة كيفية نقلها من تلك الأديان والعادات ومحو تلك الآراء عن ضمائرها بذكر عيوبها ونشر تزييفها ومداواتها من سقام تلك الآراء وتلك العادات بالحمية لها من العود إليها وشفائها بالرأى المرضيّ والعادات الجميلة والأعمال الزكية والأخلاق المحمودة بالمدح لها والترغيب فى جزيل الثواب يوم المآب وكيفية سياسة النفوس الشريرة بصدودها عن

قصد سبيل الرشاد وسلوكها فى وعور طرق الغى والتمادى بالقمع لها والزجر والوعيد والتوبيخ والتهديد، لترجع الى سبيل النجاة وترغب فى جزيل الثواب ومعرفة كيفية تنبيه الأنفس اللاهية والأرواح الساهية من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد والإذكار لها عهد يوم الميثاق لئلا يقولوا: ما جاءنا من رسول ولا كتاب. وهذه السياسة تختص بها الانبياء والرسل صلوات الله عليم.

٢. السياسة الملوكية : فهى معرفة حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة فى الملة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بإقامة الحدود وانفاذ الأحكام التى رسمها صاحب الشريعة، وردّ المظالم وقمع الاعداء وكفّ الاشرار ونصرة الاخيار. وهذه السياسة يختص بها خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

٣. السياسة العامية : هى الرياسة على الجماعة كرياسة الأمراء على البلدان والمدن ورياسة الدهاقين على اهل القرى ورياسة قادة الجيوش على العساكر وما شاكلها فهى معرفة طبقات المرؤسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم وترتيب مراتبهم ومراعاة أمورهم وتفقد أسبابهم وتأليف شملهم والتناصف بينهم وجمع شتاتهم واستخدامهم فيما يصلحون له من الامور واستعمالهم فى ما يشاكلهم من صنائعهم وأعمالهم اللائقة بواحد منهم.

٤. السياسة الخاصية : فهى معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خدمه وغلمانه وأولاده ومماليكه وأقربائه

وعشرته مع جيرانه وصحبته مع إخوانه وقضاء حقوقهم وتفقد أسبابهم والنظر فى مصالحهم من أمور دنياهم وآخرهم.

٥. السياسة الذاتية : فهى معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله وأقاويله فى حال شهوته وغضبه ورضاه والنظر فى جميع أموره.

IV. المدينة الفاضلة

وينبغى لنا قبل البحث عن فكرة المدينة الفاضلة لأخوان الصفا أن نعرض بعض الأفكار تعتبر مداخل لهذا الموضوع، والأهم منها : تصور الاخوان للحياة البدائية أوحالة الفطرة الأولى ومفهوم المدينة عندهم والغرض من الاجتماعة الفاضلة. أما مفهوم الاخوان للحياة الاولى أو الحياة البدائية أو حياة الفطرة هو حياة خير خالية من الشرور. يتصرف فيها كل واحد بطبيعته الفطرية الخيرة بكل حرية وأمن وطمأنينة ويعتمد فيها المرء على نفسه ولا يترك تصريف أمره لغيره، بل يتصرف برأية فى مصالحه فى الاوقات التى تدعوه فيها طباعه. فالانسان يكون "فى غاية الاعتدال فى حالة الفطرة".[٢٨] عندهم هى أصغر وحدة اجتماعية كاملة ويشبهون المدينة وتركيبها بالانسان أو ببنية الجسد وتركيب أجزائه وتأليف أعضائه.[٢٩] كما يشبهون أهل المدينة بالنفس الساكنة فى الجسد وأعمال أهل المدينة وتصرفاتهم فيها بأعمال النفس وتصرفاتها مع الجسد ويشبهون المحال والمنازل والبيوت فى المدينة بأعضاء الجسد ومفاصله وأوعيته.[٣٠] بينما يرى اخوان الصفا أن الغرض من الاجتماعية الفاضلة هو وجود صلاح البلاد، لأن الاجتماع يؤدى إلى حدوث الصداقة. والصداقة هى أساس الاخوة بين الناس والاخوة هى أساس المحبة بينهم، والمحبة تؤدى

الى اصلاح فى الامور الذى فيه صلاح البلاد. وصلاح البلاد يؤدى الى حفظ العالم وبقائه وبقاء النسل.[٣١]

وهذه الثلاثة يعنى ثبوت الحياة البدائية أوحالة الفطرة الاولى وثبوت المدينة التى هى أصغر وحدة اجتماعية كاملة وثبوت صلاح البلاد بوجود الاجتماع الفاضل لم تتحقق إلا ببناء المدينة الفاضلة التى هى غايتهم من الاجتماع، والتى فيها تتحقق سعادة الافراد على اكمل وجه. ولا يكون تحقيق ذلك إلا إذا تعاون أهل المدينة الفاضلة على الامور التى تؤدى الى نيل السعادة.

وإن اول شيئ ينبغى أن يتناول وأن يتمارس لتحقيق ذلك هو: "أن نجمع قوة أجسادنا ونجعلها قوة واحدة ونرتب تدبير نفوسنا تدبيرا واحدا ونبنى مدينة فاضلة روحانية".[٢٣] ويحُثُّ الاخوان على الإسراع فى اتخاذ الاجراءات العملية بقولهم" فيجب الآن أن نأخذ فى بناء المدينة التى تضم شملنا وتجمع جملتنا ونتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا ومن استجاب الينا".[٣٣]

ومرة أخرى إن المراد بالمدينة الفاضلة عند الاخوان هو "المدينة الروحانية، المدينة المثالية" لا المدينة الواقعة الارضية التى يصفونها ويطلقون عليها" بالمدن الجائرة". ومن هنا لكى تكون مدينتهم الفاضلة الروحانية متميزة تماما عن تلك المدن الجائرة، يجب أن تتوفر الشروط الآتية:

١. ينبغى أن يكون أهل المدينة قوما أخيارا حكماء فضلاء مستبصرين بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الاجساد وحالاتها.[٣٤]

٢. ينبغى لأهل المدينة الفاضلة اسلوب فى التعامل فيما بينهم واسلوب آخر فى معاملة أهل المدن الجائرة.[٣٥]

٣. يجب أن تكون لمدينة الفاضلة مدينة روحانية خالصة لكى لا يصيبها ما يصيب الاجساد واهل المدن الجائرة من تقلبات وأكدار فيرون أنه لا ينبغى أن يكون بناء هذه المدينة فى الارض حيث تكون أخلاق سائر المدن الجائرة. ولا ينبغى أن تكون على وجه الماء ولا على وجه البحر لئلا تصل إليها امواجه وزفراته واضطرابه وتحوله. ولا ينبغى أن تكون فى الهواء حتى لا يصعد اليها دخان المدن الجائرة فتكدر هويتها أو دخان اهل الارض وما يتصاعد من اعمالهم القبيحة وأفعالهم الرديئة.[٣٦]

٤. ينبغى أن تكون هذه المدينة الفاضلة مشرفة على سائر المدن ليكون اهلها يشاهدون حالات اهل سائر المدن فى دائم الاوقات.[٣٧]

٥. ينبغى أن تكون اساس هذه المدينة على تقوى الله كيلا ينهار بناؤها. وأن يشيد بناؤها على الصدق فى الاقاويل والتصديق فى الضمائر وتتم أركانها على الوفاء والامانة لكى تدوم. ويكون كمالها محققا للغاية القصوى التى هي خلود فى النعيم.[٣٨]

وكذلك شرّط اخوان الصفا كل من اراد أن يدخل هذه المدينة الفاضلة أن يكون له علم يساوى لعلومهم. قالوا: "لا يمكن احد أن يدخل مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويا لعلمنا.[٣٩] أما المدن غير الفاضلة فلا يشترط أن يكون كل سكانها علماء فضلاء بل تجمع الاخيار والاشرار والعلماء والجهال والمصلحين والمفسدين وأقواما مختلفى الطباع والاخلاق

والآراء والاعمال والعادات.[٤٠] وكما أن لأهل تلك المدينة (مدينة غير الفاضلة) فيها مساجد وبيع وصلوات (كنائس اليهود).[٤١]

V. نظرية الامامة والخلافة عند اخوان الصفا

١- مفهوم الامامة والخليفة

الامام لغة هو ما إئتم به من رئيس أو غيره. وهو قيم الأمر المصلح له. ويطلق على النبى عليه السلام وعلى الخليفة وعلى قائد الجند وعلى الدليل والحادى. و الخليفة لغة هو السلطان الاعظم وجمعه خلائف وخلفاء. والخليفة هى النيابة عن الغير. إمالغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف.[٤٢] وعن معنى الامامة والخليفة يقول ابن خلدون: "وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة واماما، وسماه المتأخرون سلطانا حين فشا التعدد فيه. واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب. أما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة فى أتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال الامامة الكبرى. وأما تسميته خليفة، فلكونه يخلف النبى صلوات الله عليه فى أمته. فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله. واختلف فى تسميته خليفة الله. فاجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى "جعلكم خلائف الارض" (الانعام: ١٦٥). ومنع الجمهور منه لأن معنى الاية ليس عليه. وقد نهى ابو بكر عنه لما دعى به فقال: لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الاستخلاف انما هو فى حق النائب أما الحاضر فلا.[٤٣]

أما اخوان الصفا فلا يفرقون بين مصطلاحى الامامة والخليفة، بل يرون أنهما مترادفان حيث يقولون: إن الامامة إنما هى خلافة.[٤٤] وإذا كانت الامامة هى الرياسة العامة فالرياسة عندهم نوعان[٤٥]:

أ. الرياسة الجسمانية مثل رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان الاعلى الاجسام والاجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهرا فى اصلاح أمور الدنيا وشهواتها والغرور بلذاتها وأمانيها.

ب. الرياسة الروحانية مثل رياسة اصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والارواح بالعدل والاحسان ويستخدمونها فى الملك والشرائع لحفظها واقامة السنن والتعبد بالأخلاص والتأله برقبة القلوب واليقين بنيل الثواب والفوز والنجاة والسعادة فى المعاد.

٢- ضرورة الامام وحاجة الناس إليه

فالاخوان يرون أن نصب الامام ضرورى ومحتاج اليه لأسباب:

١- لمنع العدوان بين البشر بسبب التنازع

ان التنازع بين البشر فى نظر اخوان الصفا يمثل المدخل الطبيعى لتبرير وجود الحاكم وضرورته لمنع العدوان بين البشر بعضهم وبعض. والتنازع عندهم لا ينحصر فى التجارات أو الأعمال، بل فى كل الأمور ولكن يوجد فى كل الأمور، يدخل فيها العلوم.[٤٦] بل يؤكدون ايضا أن العدوان بين البشر مسألة قديمة قدم الوجود البشرى ذاته.[٤٧]

أما سبب التنازع والعدوان عند الاخوان يرجع الى الطبيعة البشرية وما هو مقرر من غريزة حب البقاء وكراهية الفناء.[٤٨] بحيث اصبح الشغل الشاغل للانسان هو "طلب الحيلة لجر المنفعة" أو لدفع المضرة.[٥٠] بل

يرون أن كل ما أعطاه الله للمخلوقات من أعضاء إنما كان من اجل تمكينه من تحقيق هذا الهدف.[٥١] ومن هذا لابدلهم من سلطان يملكهم ويرأسهم ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه، ويتنازعون ويمنع الظالم القوى من التعدى على الضعيف المظلوم ويأمن لخوفه السبل، ويأخذ الناس بلزوم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه التى فى اقامتها وحفظها صلاح للجميع.[٥٢]

٢- الحاجة الدينية

ومن الاسباب التى تدعو الى الحاجة الى الامام هى "أن يقوم هذا الامام بحفظ الشريعة على الامة واحياء السنة فى الملة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتكون الامة تصدر عن رأيه". والخصلة الاخرى هى أن يرجع فقهاء المسلمين وعلمائهم عند مشكلاتهم فى أمر الدين إليه وعند مسائل الخلاف. فيحكم هو بينهم فيما هم فيه يختلفون من الحكومة فى الفقه والاحكام والحدود والصلوات والجمعات والاعياد والحج والغزو وتوليد القضاة والعدول وفتوى الفقهاء، ويصدرون كلهم عن رأيه وتدبيره وامره ونهيه.[٥٣]

IV. تعيين الامام عند الاخوان

رأى اخوان الصفا إن الامامة هى محور الاختلافات فى الامة حيث قالوا "واختلفوا فى خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك من أكبر أسباب الخلاف فى الامة الى حيث انتهينا".[٥٤] وفي موضع اخر فى رسائلهم كلما بينوا اسباب اختلاف العلماء فى الامامة قالو: إعلم أن مسألة الإمامة هي ايضا من أمهات مسائل الخلاف بين العلماء، قدتاه فيها الخائضون إلى حجج شتى

واكثروا فيها القيل والقال وبدت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء وجرت بين طالبيها الحروب والقتال وأبيحت بسببها الاهوال والدماء وهى باقية إلى يومنا هذا لم تنفصل، بل كل يوم يزداد الخائضون المختلفون فيها خلافا على خلاف وتتشعب فيها ومنها آراء ومذاهب حتى لا يكاد يحص عددها الا الله.

أما تعيين الامامة، هل يكون بالاختيار ام يكون بالنص، يقول الإخوان: "وأما ما ينبغى أن يكون الامام ومن هو فهم مختلفون على رأيين ومذهبين فمنهم من يرى ويعتقد أنه لا ينبغى أن يكون أفضلهم كلهم بعد نبيها وأقربهم اليه نسبة ويكون قد نص عليه. ومنهم من يرى بخلاف ذلك. ولهم فى هذين الرأيين منازعات وخصومات بطول شرحها مذكورة فى كتبهم. ولكننا إذا أمعنا النظر إلى رسائلهم وفحصناها بدقة وجدنا أن الاخوان قد خصصوا المعاير والشروط لابد توافرها فى الامام، منها:

١- أن يكون الامام أفضل البشر بعد النبى

يرى الاخوان أن الحاجة دائما تكون الى الافضل ويستدلون على ذلك بحاجة النفس الى قوة أخرى لأفادتها من العلم ما به صلاح امرها. وليست هذه القوة سوى العقل. والعقل عندهم بمثابة النبى أو "الرئيس" ومن هذا فان من يخلفه لابد أن يكون من أهله وأصحابه ومن قبل منه ما ألقاه إليه كمثل الاعضاء الفاضلة.

٢- أن يكون الامام أقرب البشر نسبة الى النبى

ولم يرد الاخوان قرابة النسب هنا الى قرابة الدم أو نسبة الدم، وانما المراد بالنسب هو نسبة الولاء أو النسب الروحانى ويبدو أن من كان بهذه الصفة من الرسول ليس سوى علىّ يرث مقامه من بعده كما يتجلى فى

تقسيم الاخوان أتباع صاحب الشريعة الى ثمانى طبقات حيث يجعلون فى الاولى منها:

"قراء تنزيله وكتبته وحفاظ ألفاظه ومعلميها لمن بعدهم من ذراريهم ليؤدوا إلى من بعدهم من أتباعهم ما أخذوا عمن قبلهم. ويقصدون به عليا دون سواه، لأنه من قراء التنزيل والكتبة والحفاظ".

ويشير الاخوان أيضا إلى أن على بن ابى طالب هو المستحق للامامة بعد النبى، إذ يقولون: "واعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن تلميذ الحكيم الذى رافقه فى حياته وخدمه فى طول مدته وتعلم منه علمه وأودعه حكمته هو الذى يجب عما يسأل عنه من سؤالات الحكمة كما كان معلمه يجيب فى وقته من يسأل عن مثل ما قدمنا ذكره. كذلك المستحق للمنزلة بعد النبى، هو الذى يحسن الجواب فى وقته عما يسأل عنه من مشكلات أمور الشريعة ومفضلات الاحكام ومن كان بالضد من ذلك فلا يستحق اسم الحكمة بعد الفيلسوف. كذا لا يستحق اسم الامامة بعد النبى من كان لا يحسن القيام بما تحتاج اليه الامة الا كما قال الله تعالى عز وجل "أئمة يدعون الى النار (القصص: ٥) بالجهل كما كانوا قبل قيام الشريعة فى جاهليتهم أئمة فى الضلال. وليس المقصود بتلميذ الحكيم الذى رافق الفيلسوف طوال حياته وتعلم منه الحكمة هو إلا على ابن ابى طالب الذى رافق النبى وتعلم منه العلم.

٣- أن يكون الامام قد نص عليه

اضافة الى الشرطين المذكورين فى الامامة، يرى أن الامام او الخليفة لابد أن يكون قد نال إمامته أو خلافته بالنص أو بالوصية وأن

تسير الخلافة فيما بعد على هنا الأساس. وإن واجب الامة عدم الخروج عن الوصية بموجب الطاعة التى فرضها الله على المؤمنين لرسوله.

VII. التحليل والنقد

نحن لم نمتنع عن الباحثين القائلين إن اخوان الصفاء والفلاسفة المسلمين والمفكرين الذين جاؤا من بعدهم كالفارابى وابن سينا قد أفادوا من الفلسفة اليونانية وتأثروا بمنهجها فى هذا المجال، مجال الفلسفة السياسية. أما تأثر الاخوان بالفلاسفة اليونانيين فيظهر فى نظر الاخوان عن الفلسفة لاجتماعية، يكاد الاخوان يرددون نفس الحجج الاجتماعية والفلسفية الخاصة بحاجة البشر إلى التعاون والاجتماع كما وردت فى كتاب "الجمهورية" (The Republic) لأفلاطون وكتاب "السياسة" (The Politic) لأرسطو. فأفلاطون يرى أن الاجتماع البشرى ظاهرة طبيعية سببها عجز الفرد عن القيام لكل حاجاته العديدة وحده.[٦١] ويرى أرسطو أن الانسان بالطبع كائن اجتماعى.

ولكن اخوان الصفاء يمزجون ذلك المنهج الفلسفى اليونانى بما استمد من تعليم الدين الاسلامى ولا يجارون الحكماء اليونانيين فى كل ما قالوه. ويظهر هذا الامتزاج فى قول الاخوان بأن الانسان لا يجد عيشا هنيئا إلا بمعاونة اهل مدينة وملازمة شريعة.

ولهذا كان الفلاسفة المسلمون كالفارابى ومثله اخوان الصفاء يرفضون شيوعية المال والنساء والابناء التى نادى بها أفلاطون لأن هذا لا يتفق لا مع عقلهم ولا مع دينهم ويرفضون ايضا الزعم بأن الاجتماع تم عن طريق القهر والغلبة والسيطرة لأن الاجتماع هذا شأنه وهذه هى أسسه لن يؤدى فى النهاية الى الخير والسعادة، فضلا عن دوامه أمر محال.

واختلف الاخوان الصفاء بالفارابى حول خصال رئيس المدينة ومعايره. والفارابى مثلا وإن كان قد شرط أن يكون رئيس أو امام المدينة الفاضلة مستوفيا اثنتا عشرة خصلة وهى أن يكون تام الاعضاء، جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ، جيد الفظنة، حسن العبارة، محبا للتعليم والاستفادة، غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، كبير النفس، تقليل الامور الدنيوية فى منظره، محبا للعدل واهله ومبغضا للجور والظلم، أن يكون عدلا، قوى العزيمة. الا أنه لا يرى أن تكون تلك الخصال موجهة ومقصودة الى شخص معين. هذا بخلاف اخوان الصفاء حيث يشيرون ويوجهون تلك المعاير والخصال عيّنوها فى تعيين الامام الى شخص معين أو الى أشخاص معينة كعلى بن ابى طالب وذراريه مثلا كما قد ذكر بحثه من قبل.

ومن هنا أننى أصل الى درجة اليقين بأن اخوان الصفاء هم متشيعون ومعتقدون بأحقية أهل البيت للخلافة استنادا بقولهم : لكيما اذا نظر فيها (فى الرسائل) إخواننا وسمع قراءتها اهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم، لأنهم خزان علم الله ووارثوا علم النبوات تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتميز والبصيرة والآفاق. فإذًا، كان تشيع الاخوان هذا وتأييدهم ودعمهم لأهل البيت فى الخلافة، يخالف بيانهم بأنهم يقصدون بجماعتهم الدعوة الى تآلف القلوب والعقول والاعمال والى توحيد الناس الى وحدة الصورة الانسانية واتساق تعاليم الديانات والفلسفات من دون أيّ التفرقة الجنسية والعرقية والمذهبية كما أن ذكرناه فى اول هذا البحث. ومن هذا نستطيع أن نقول أن بيان اخوان الصفاء عن غرض جماعتهم شبه من التمويه والتخديع والتدليس.

[1] الموسوعة الفلسفية العربية، مادة "إخوان الصفاء" (القاهرة: معهد الإنماء العربى، ١٩٨٨) ج. ٢، I.b.

[2] جبور عبد النور، إخوان الصفاء، (بيروت : دار المعارف، ١٩٥٢)، ص.٥.

[3] عز الدين فودة، "تقديم" لكتاب إخوان الصفاء وفلسفتهم السياسية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢)، ص. ٧.

[4] الموسوعة الفلسفية العربية، ص. ٦٣.

[5] جبور عبد النور، إخوان الصفاء، ص. ١٤.

[6] رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفا، (بيروت : دار صادر ، ١٩٥٧)، ج ٤، ص ١٨٨، ونشير فيما بعد بالرسائل فقط.

[7] ابن خلدون، المقدمة، (قاهرة : دار الفكر)، ج ١، ص ٣٣.

[8] رسائل، ج ١، ص ٩٩-١٠٠

[9] رسائل، ج ٤، ص ١٧٠

[10] فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء (قاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢)، ص ٢٨٣-٢٨٤.

[11] رسائل، ج ٣، ص ٤٤.

[12] المرجع نفسه، ص ٤٣٥-٤٣٧.

[13] فريد حجاب، الفلسفة، ص ٢٧٧.

[14] المرجع نفسه

[15] يرى ابن منظور أنها مشتقة من أمم وأمة ويؤمه أما ...الخ، أنظر ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦)، المجلة الثانى عشر، مادة "أمم"، ص ٢٣-٢٤.

[16] ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنها مشتقة من الكلمة العبرية "اما" أو من الآرامية "أمبثا"، دائرة المعارف الاسلامية، (القاهرة:)، مادة "أمة"، ص ٦٢٠-٦٣٤.

[17] أنظر على سبيل المثال: سورة البقرة آية : ١٢٨، ١٣٤، وسورة الأعراف آية: ٣٨، ١٥٩، ١٦٨.

[18] فريد حجاب، الفلسفة، ص ٣٢١.

[19] رسائل، ج ١، ص ١٩٦.

[20] المرجع نفسه، ج ٣، ص ٣٠، ١١٤ و ج ٤، ص ١٣٦.

[٢١] المرجع نفسه، ص ٣٠-٣١

[٢٢] فريد حجاب، الفلسفة، ص ٣٣٩.

[٢٣] رسائل، ج ٣، ص ٥٣٤.

[٢٤] المرجع نفسه، ص ٤٨.

[٢٥] المرجع نفسه، ج I، ص ٢١٤.

[٢٦] المرجع نفسه

[٢٧] المرجع نفسه، ص ٢٧٣-٢٧٥.

[٢٨] المرجع نفسه، ج ٣، ص ٤٢٧

[٢٩] المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٨٠

[٣٠] المرجع نفسه، ص ٣٨٥

[٣١] المرجع نفسه، ص ٣٢٨

[٣٢] المرجع نفسه، ج ٤، ص ٣٧١

[٣٣] المرجع نفسه، ص ١٧١

[٣٤] المرجع نفسه، ص ١٧١

[٣٥] المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٣٨

[٣٦] المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٥

[٣٧] المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٣٥

[٣٨] المرجع نفسه، ج ٣، ص ٥٠-٥١

[٣٩] المرجع نفسه

[٤٠] المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٧٩

[٤١] المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٧٦، ٣٠٩

[٤٢] المرجع نفسه، ص ٤٩٣-٤٩٤

[٤٣] المرجع نفسه، ص ١٥٣

[٤٤] المرجع نفسه، ص ٤٩٣

[٤٥] المرجع نفسه، ص ٤٩٤

[٤٦] فريد حجاب، الفلسفة، ص ٤٢٦

[٤٧] رسائل، ج I، ص ٢٥

[٤٨] المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٨٠-٢٨١

[٤٩] المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٧٣-١٧٧

[٥٠] أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفى السيد، (القاهرة : دار الكتب، ١٩٦٩)، ص ٧٥-٧٦

[٥١] المرجع نفسه، ص ٩٦

[٥٢] الشيخ كامل محمد محمد عويضة، الفلسفة السياسية، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٩٩٥)، ص ١٤٦-١٤٧

[٥٣] أبى النصر الفارابى، آراء أهل المدينة والفاضلة، (القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد على وأولاده)، ص ٧٩

[٥٤] أنظر أيضا عمر الدسوقىأ إخوان الصفاء، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية)، ص ٨٨، وقارن بالرسائل، ج ٤، ص ٢٣٤.